

التطبيق الخامس: المدرسة الفرنسية (بول فون تغميم/جون ماري كاري)

يقول "تغميم": «الأدب المقارن الحقيقي يحاول ككل علم تاريخي أن يشمل أكبر عدد ممكن من الوقائع المختلفة الأصل حتى يزداد فهمه وتعليقه لكل واحدة منها على حدة، فهو يوسع أسس المعرفة كما يجد أسباب أكبر عدد ممكن من الوقائع، أريد أن أقول ينبغي أن نفرغ كلمة مقارنة من كل دلالة فنية ونصب فيها معنى علميا وتقرير المتشابهات والاختلافات بين كتابين أو مشهدين أو موضوعين أو صفحاتين من لغتين أو .إنما هو نقطة البدء الضرورية التي تتيح لنا اكتشاف تأثر أو اقتباس أو غير ذلك»¹

حلل هذا القول مبينا أهم مميزات المدرسة الفرنسية المقارنة وأهم ما نقدت به في مفهوم الأدب المقارن.

التحليل:

- حصر المقارنون الفرنسيون الأدب بالأدب وهو شرط من شروط قيام مدرستهم، ومن هنا نجد أن أحد الاعتراضات التي وجهت فيما بعد إلى المدرسة الفرنسية حصرهم المقارنة في مجال الأدب. ونتيجة لانغلاق هذه المدرسة التقليدية وتشددهم في هذه الشروط وتمحور الأدب المقارن في المركزية الأوروبية الإقليمية، فقد انشق عن هذه المدرسة التقليدية رينه ايتامبل وأصبح له توجهات جديدة في ذلك، فقد حذر رينه ايتامبل من المركزية الفوقية والإقليمية للأدب المقارن التقليدي ومن ابتعاده عن جوهر الأدب، وقد شكل ذلك النقد خطوة مهمة نحو تجاوز الاتجاه التاريخي الوضعي في الأدب المقارن.
- المفهوم الفرنسي ما له وما عليه: يطرح الدكتور عبود عبود في كتابه الأدب المقارن مشكلات وآفاق مجموعة من الإيجابيات التي أفرزها

1 ما الأدب المقارن، ميشيل روسو، كلود، برونيل بير، ص 153

دراسات التأثير والتأثير .: إن هذه الدراسات سدت فجوة في كتابة تاريخ الآداب القومية فنحن نستطيع ان نتعرف أولا على الثغرات التي خلفها التأريخ الذي حصر نفسه داخل حدود أدب قومه وأغفل الامتدادات والأبعاد الخارجية التي تتجاوز الحدود اللغوية القومية للآداب .ثانيا: برهنت دراسات التأثير والتأثير بطلان مقولة الاكتفاء الذاتي للآداب واستقلالية تلك الآداب وتفردتها، فأى أدب وأي مجتمع ثقافة لا بد أن يتغذى بغيره من الثقافات الأخرى والفكر فقد دلت : كما أن للآداب القومي أصالته وتفردته حدودا السائد فيما حوله وما يجاوره. ثالثا دراسات التأثير والتأثير على أن هذه الأمور نسبية وأن هذه الآداب في حالة تفاعل وتبادل وأخذ على دعاة التعصب القومي وعطاء واستيراد وتصدير، وبذلك شكلت دراسات التأثير والتأثير ردا في الآداب الذين يزعمون أن أدبهم أصيل بصورة مطلقة. وبذلك تكون دراسات التأثير والتأثير قد أضعفت النزعة المتعصبة التي سادت في العصر الحديث.

➤ لقد أثار تيجم موضوع اختلاف اللغة في كتابه حين قال "ما هي حدود أدب من الآداب في عصر من العصور؟ ماهي الحدود التي إذا تعديناها جاز لنا أن نتحدث عن أدب أجنبي وعن تأثير أو تأثر به؟ الجواب على هذا سهل حيث ما تكون المساحة اللغوية منطبقة كل الانطباق أو بعضه على المساحة السياسية كما هو الشأن بين فرنسا وإنكلترا أو بين فرنسا وإسبانيا، لكن هذا الارتباط غير متوفر في غالب الأحيان وهناك حالات كثيرة يصعب أن نجد لها حلا عاما فكثيرا ما تكون اللغة السائدة في بلد من البلدان ممتدة إلى ما وراء حدوده، وهنا لا بد أن نتساءل هل نلحق الآثار التي تظهر فيما وراء هذه الحدود بالأدب القومي الذي تنتجه الأمة؟ أما الألمان فإنهم يعتقدون

بذلك فيما يتعلق بهم فتراهم يضعون الكتاب السويسريين والكتاب النمساويين في عداد الأدباء الألمان، وأما في فرنسا حيث الوحدة القومية قديمة مغرقة في القدم وحيث الشعور بهذه الوحدة عميق قوي فإننا نستحي أن ننسب إلينا من ليس منا لكننا لأسباب بديهية نعد روسو وديمستر كاتبين فرنسيين رغم أن الأول من جنيف والثاني من سافو ولهذا يمكن أن نقبل في عدادنا كتابا سويسرا وبلجيكا لام حوموا حول باريس كمركز أدبي ولكننا ندع لسويسرا وبلجيكا بعض الأدباء لأما آثروا البقاء في بلادهم ولذلك يجب أن نعد التأثيرات الفرنسية في الأدب الكندي المكتوب باللغة الفرنسية وكذلك الكتاب الأمريكيان بالنسبة إلى الأدب الإنكليزي على أنه من موضوعات الأدب المقارن" > أرى أن هذه النقطة التي أثارها تيجم مهمة وتطرح تساؤلات كثيرة حولها، تيجم يستحي أن ينسب إليه من ليس منهم ولكنه يستثني أدباء ليسوا فرنسيين لكنهم كتبوا بتوجهات فرنسية وبوحي من الثقافة الفرنسية رغم أم كتبوا باللغة الفرنسية الفرنسية، فهؤلاء يعدهم تيجم من الأدباء الفرنسيين ويستبعد كتابا رغم أنهم كتبوا بالفرنسية ولا يعدهم فرنسيين يجب أن يتغذى بثقافة فرنسية ، فهذا يحدد تيجم حتى يكون الكاتب فرنسياً إنكليزيا وبتفكير فرنسي محض. ويثير تيجم مسألة أن الأدب الأمريكي هل يمكن أن نعه أدباً والسبب في واحد على أن كلا الأدبين كتبوا بلغة واحدة، يقول تيجم بأنه لا يمكن أن نعهما أدبا ذلك أن لكل أدب ثقافته الخاصة به وتجاربه النوعية في ذلك. أو فرنسياً هل يمكن أن نعد من كتب باللغة الفرنسية أدبيا ولا بد أن نسال أنفسنا سؤالا بثقافة هذا البلد. وفي يدخلون ضمن الأدب الفرنسي، تيجم ينفي هذا إذا لم يتغذى غذاء كاملا اعتقادي هذا صحيح لأن الأديب لا نستطيع أن

ننسبه إلى ذلك البلد رد أنه كتب بلغته، فثقافة الأديب حتما تلفة عن ثقافة هذا البلد. بعض المقارنين يعتبر من كتب باللغة ستكون مخ الأخرى ينتمي إلى هذه اللغة، يقول هلال: " فالكاتب أو الشاعر إذا كتب كلاهما بالعربية عددناً مهما كان جنسه البشري الذي انحدر منه.